www.alukah.net
شبكة الألوكة

الاستعانة بالله تعالى
آثارها وثمارها

الشيخ الدكتو ر
عبدالعزيز بن محمد السدحان

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الاستعانة بالله تعالى.. آثارها وثمارها

الجمعة ٢٠/٦/١٤٢٨هـ

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ ونَسْتَعِينُهُ... أمَّا بَعْدُ:

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ:

لَقَدْ كَانَ مِنْ حِكْمَةِ الله تَعَالَى أَنْ تَكُونَ حَيَاةُ الإِنْسَانِ فِي كَبَدٍ... ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، مُكَابَدَةٍ لِلشَّيْطَانِ وَغِوَايَتِهِ، مُكَابَدَةٍ لِنَفْسِهِ وَهَوَاهَا، مُكَابَدَةٍ لِمَصَاعِبِ الدُّنْيا، مُكَابَدَةٍ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ، مُكَابَدَةٍ فِي تَرْبِيَةِ الأَوْلَادِ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كَبَدِ الحَيَاةِ.

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ:

وَمَعَ تِلْكَ المُكَابَدَةِ المُتَنَوِّعَةِ مِنْ حِسِّيَةٍ وَمَعْنَوِيَّةٍ فَالإِنْسَانُ بِطَبْعِهِ وَخَلْقِهِ ضَعِيفٌ أَصْلًا: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، وَهَذَا الضَّعْفُ الجِبِلِّي فِي تَكْوِينِ الإِنْسَانِ يَزِيدُ مُكَابَدَتَهُ صُعُوبَةً وَمُدَافَعَةً.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ:

لَمَّا كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ؛ كَانَ مِنْ حِكْمَةِ اللهِ تَعَالَى أَيْضًا أَنْ وَهَبَ لِلْإِنْسَانِ عَقْلًا يُمَيِّزُ بِهِ، وَسَخَّرَ النَّاسَ بَعْضَهُمْ لِبَعْضٍ؛ هَذَا يُعِينُ آخَرَ عَلَى قَضَاءِ أَعْمَالِهِ، وَصَاحِبُ الأَعْمَالِ يَدْفَعُ لَهُ أَجْرَ عَمَلِهِ، فَكُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُعِينُ صَاحِبَهُ عَلَى مُكَابَدَةِ الحَيَاةِ، وَقُلْ مِثْلَ هَذَا فِي عَوْنِ الوَلَدِ لِوَالِدِهِ، وَعَوْنِ الرَّئِيسِ لِمَرْؤُوسِهِ، وَعَوْنِ الجَارِ لِجَارِهِ... وَهَكَذَا النَّاسُ: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢].

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ:

وَمَعَ عَوْنِ النَّاسِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَمَعَ مَا سَخَّرَهُ اللهُ تَعَالَى لِلنَّاسِ مِنْ أَسْبَابِ مُكَابَدَةِ الحَيَاةِ؛ مِنْ خَلْقِ الأَنْعَامِ وَاسْتِخْرَاجِ المَعَادِنِ... وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَسْبَابِ، مَعَ هَذَا كُلِّهِ يَبْقَى الإِنْسَانُ ضَعِيفًا.

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ:

وَلَمَّا كَانَ شَأْنُ المَخْلُوقِينَ ضَعِيفًا.. كَانَ مِنْ حِكْمَةِ ذَلِكَ أَنْ يَتَذَكَّرَ المَخْلُوقُونَ عَوْنَ خَالِقِهِمْ، وَأَنَّهُمْ مَهْمَا بَلَغُوا فِي القُوَّةِ وَالتَّكَاتُفِ فَلَا يَزَالُونَ أَبَدًا أَمَامَ عَوْنِ اللهِ تَعَالَى وَقُوَّتِهِ ضُعَفَاءَ أَذِلَّاءَ عَاجِزِينَ فُقَرَاءَ... ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨]، ﴿... أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ١٦٥].

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَمِنْ لَازِمِ هَذِهِ النُّصُوصِ وَغَيْرِهَا.. بَلْ إِنَّ الفِطَرَ وَالعُقُولَ تَقْطَعُ وَتَشْهَدُ أَنَّ الإِنْسَانَ بِحَاجَةٍ إِلَى عَوْنِ خَالِقِهِ، وَأَنَّهُ مَهْمَا اجْتَهَدَ وَحَرِصَ وَلَمْ يُعِنْهُ اللهُ عَلَى بُلُوغِ مُرَادِهِ فَإِنَّ حِرْصَهُ وَاجْتِهَادَهُ لَا يَزِيدَانِهِ إِلَّا خَسَارًا.

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللهِ لِلْفَتَى فَأَكْثَرُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ

شَاهِدُ المَقَالِ: أَنَّ طَلَبَ عَوْنِ اللهِ هُوَ مِنَ التَّعَبُّدِ للهِ، وَلِذَا جَاءَتِ النُّصُوصُ الشَّرْعِيَّةُ تُبَيِّنُ عَظِيمَ أَمْرِ الاسْتِعَانَةِ بِاللهِ تَعَالَى، وَأَنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ للهِ تَعَالَى، فَالمُصَلُّونَ يَقْرَؤُونَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، وَقَدْ قَدَّمَ الضَّمِيرَ فِي الآيَةِ عَلَى الفِعْلِ وَلَمْ يَقُلْ: نَعْبُدُ إِيَّاكَ، وَنَسْتَعِينُ إِيَّاكَ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ يُفِيدُ الحَصْرَ وَالقَصْرَ، يَعْنِي: لَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ وَلَا نَسْتَعِينُ إِلَّا بِكَ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَفِي الآيَةِ أَيْضًا دَلِيلٌ آخَرُ عَلَى عَظِيمِ شَأْنِ الاسْتِعَانَةِ بِاللهِ؛ وَبَيَانُ ذَلِكَ: أَنَّ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الِاسْتِعَانَةَ بِاللهِ نَوْعٌ وَاحِدٌ مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ، وَقَدْ جَاءَتْ فِي الآيَةِ مَعْطُوفَةً عَلَى العِبَادَةِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وَهَذَا مِنْ عَطْفِ الخَاصِّ عَلَى العَامِّ؛ لِلِاهْتِمَامِ بِذَلِكَ الخَاصِّ وَتَعْظِيمِ شَأْنِهِ.

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ:

وَالمُتَأَمِّلُ فِي شَأْنِ الِاسْتِعَانَةِ وَعَظِيمِ أَثَرِهَا وَتَأْثِيرِهَا يَرَى أَنَّ العَبْدَ لَا يَسْتَغْنِي عَنْ عَوْنِ اللهِ تَعَالَى طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلِذَا جَاءَ الحَثُّ عَلَى ذَلِكَ فِي وَصَايَا النَّبِيِّ ﷺ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: «**إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»، وَكَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: «**اسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ**».

وَلَيْسَ ذَلِكَ مَقْصُورًا عَلَى الأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ فَحَسْبُ، بَلْ يَشْمَلُ ذَلِكَ الأُمُورَ الدِّينِيَّةَ؛ لِعُمُومِ اللَّفْظِ، بَلْ جَاءَ النَّصُّ عَلَى الأُمُورِ الدِّينِيَّةِ بِعَيْنِهَا، وَلِذَا كَانَ مِنْ وَصِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ - وَهِيَ وَصِيَّةٌ لِعُمُومِ الأُمَّةِ كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي عِلْمِ الأُصُولِ -: «**يَا مُعَاذُ، إِنِّي أُحِبُّكَ..**»، ثُمَّ أَوْصَاهُ ﷺ بِقَوْلِهِ: «**فَلَا تَدَعْ أَنْ تَقُولَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ.

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ:

وَإِذَا كَانَ الإِنْسَانُ مُحْتَاجًا إِلَى عَوْنِ اللهِ تَعَالَى فِي الأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَهِيَ عِبَادَاتٌ مَحْضَةٌ، فَمِنْ بَابِ أَوْلَى حَاجَتُهُ إِلَيْهِ فِي الأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَلَمَّا كَانَتِ الِاسْتِعَانَةُ بِاللهِ تَعَالَى بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ... كَانَ أَنْبِيَاءُ اللهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَكْثَرَ الْخَلْقِ تَعَبُّدًا بِشَأْنِ الِاسْتِعَانَةِ.

فَهَذَا يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا بَلَغَ مِنْهُ الْحُزْنُ بِفَقْدِ يُوسُفَ لَمْ يَنْسَ عَوْنَ اللهِ تَعَالَى، فَقَالَ لِأَبْنَائِهِ: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨].

وَهَذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا تَوَعَّدَهُ فِرْعَوْنُ وَهَدَّدَهُ بِقَتْلِهِ وَقَتْلِ أَتْبَاعِهِ خَشِيَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَطْشِ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَكَانَ جَوَابُ مُوسَى لَهُمْ تَذْكِيرًا بِشَأْنِ الِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ، وَأَنَّهَا مِفْتَاحُ الْخَيْرِ: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، فَكَانَتْ وَصِيَّتُهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - جَامِعَةً مَانِعَةً لِقَوْمِهِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

إِنَّ الحَمْدَ للهِ...

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ:

وَلِلاِسْتِعَانَةِ بِاللهِ تَعَالَى ثَمَرَاتٌ عَظِيمَةٌ وَآثَارٌ جَلِيلَةٌ، فَمِنْ ذَلِكَ:

إِثْبَاتُ أَنَّ القُوَّةَ المُطْلَقَةَ للهِ تَعَالَى؛ قُوَّةٌ لَا يَعْتَرِيهَا نَقْصٌ، قُوَّةٌ لَا تَعْدِلُهَا أَيُّ قُوَّةٍ.

وَمِنْ آثَارِ وَثِمَارِ الاِسْتِعَانَةِ بِاللهِ تَعَالَى أَيْضًا: طَرْدُ الرِّيَاءِ وَالعُجْبِ عَنْ نَفْسِ المُسْلِمِ؛ ذَلِكَ أَنَّ المُسْلِمَ إِذَا تَمَّ لَهُ أَمْرٌ ثُمَّ عَلِمَ أَنَّهُ لَوْلَا عَوْنُ اللهِ لَمْ يَتِمَّ لَهُ أَيُّ أَمْرٍ زَادَ إِخْبَاتُهُ لِرَبِّهِ وَاعْتِرَافُهُ بِفَضْلِهِ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَبْقَ لِلْعُجْبِ مَكَانٌ فِي قَلْبِهِ.

وَمِنْ آثَارِ وَثِمَارِ الاِسْتِعَانَةِ بِاللهِ تَعَالَى: الرَّدُّ عَلَى القَدَرِيَّةِ الزَّاعِمِينَ بِأَنَّ العَبْدَ يَخْلُقُ فِعْلَهُ! وَأَنَّ قُدْرَتَهُ مُسْتَقِلَّةٌ بِذَاتِهَا!! وَهَذَا مَذْهَبٌ بَاطِلٌ؛ فَالعَبْدُ يَسْتَعِينُ بِاللهِ وَهَذَا مِنْ أَوْضَحِ الأَدِلَّةِ عَلَى ضَعْفِهِ وَعَدَمِ اسْتِطَاعَتِهِ نَفْعَ نَفْسِهِ إِنْ لَمْ يُعِنْهُ اللهُ عَلَى بُلُوغِ مَآرِبِهِ وَتَحْقِيقِ مَقَاصِدِهِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَمِنْ آثَارِ وَثِمَارِ الِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ تَعَالَى: افْتِقَارُ العِبَادِ إِلَى عَوْنِ اللهِ تَعَالَى دَائِمًا؛ فَإِذَا أَيْقَنَ العَبْدُ بِضَعْفِهِ وَأَنَّهُ لَا حَوْلَ لَهُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِعَوْنِ اللهِ.. زَادَ افْتِقَارًا للهِ تَعَالَى وَأَكْثَرَ مِنْ سُؤَالِهِ العَوْنَ وَالتَّأْيِيدَ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَآثَارُ وَثِمَارُ الِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ تَعَالَى كَثِيرَةٌ وَعَظِيمَةٌ يَقْصُرُ المَقَامُ عَنْ سَرْدِ كَثِيرٍ مِنْهَا فَضْلًا عَنِ اسْتِقْصَائِهَا.

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَعِنَّا وَلَا تُعِنْ عَلَيْنَا، وَانْصُرْنَا وَلَا تَنْصُرْ عَلَيْنَا...